الإتحاف

بِتَمْيِيْزِ مَا تَبِعَ فِيهِ الْبَيْضَاوِيُّ صَاحِبَ الْكَشَّافْ

تأليف

الإمام محمَّد بن يوسف الشاميّ (المتوفى ٩٤٢هـ)

صاحب السيرة الشاميّة

دراسة وتحقيق

د. عبد الرحمن بن جميل بن عبد الرحمن قصاص

المقدمة

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله.

أمّا بعد؛

فإنّ الله سبحانه وتعالى أرسل رسوله وأنزل معه كتابه؛ ليسعد النّاس في الدارين، ويخرجهم من ظلمات الكفر والبدع إلى ضياء الإسلام ونور السنة، ﴿كتاب أنزلناه إليك لتخرج النّاس من الظلمات إلى النور﴾، فقرأه على النّاس، فاستقبلته قلوب من أراد الله لهم السعادة استقبال الأراضي المجدبة للمطر، فكانوا يقرأونه ويجتهدون في فهمه للعمل به، لا للثقافة الباردة.

قال أبو عبد الرحمن السلميّ: «حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنّهم كانوا إذا تعلموا من النبيِّ ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها إلى غيرها؛ حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل. قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا» [1].

ولما انتشر الإسلام في الخافقين، ودخل غير العرب في الإسلام؛ نَهض العلماء بكتاب الله لتفسيره على قدر حاجة النّاس إليه، إسهامًا منهم في الدعوة إلى الله بتبيين كتابه وتفهيمه للنّاس ليتسنى لهم العمل به، فإنّ العمل به فرع العلم به، فكثرت المؤلفات في التفسير، وتنوعت المدونات فيه بتنوع مؤلفيها في العلم الذي ينسبون إليه، والمنهج الذي يسلكونه.

فألَّف أبو القاسم محمود بن عمر جار الله الزمخشري المعتزلي (٤٦٧هـ – ٥٣٨هـ) تفسير «الكشاف عن حقائق التنْزيل وعيون الأقاويل في وجه التأويل»، فاستحسنه النّاس من جهة ما فيه من توضيح البلاغة

القرآنية، وشرح معجزاته البيانيّة، وجمال أساليبه، ولكن النّاس استقبحوا هذا التفسير أيضًا من جهة ما فيه من الضلالات الاعتزالية، والانحرافات القدرية، فكانوا في قبول تفسيره والرضي به بين إقبال وإدبار؛ حتى جاء عبد الله بن عمر بن محمد ناصر الدين البيضاويُّ (... – ٦٨٥هـ) فاختصره وحذف ما فيه من ضلالاتٍ، وأبقى ما أحسن فيه، وغفل عن أشياء ممّا كان ينبغي عليه أيضًا حذفه، فجاء عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمّد أبى الفضل جلال الدين السيوطيُّ (٨٤٩ هـ – ٩١١هـ) فكتب حاشية على تفسير البيضاويِّ، فنبَّه على ما غفل عنه البيضاويُّ، فجرَّد تلميذه محمّد بن يوسف بن علي أبو عبد الله شمس الدين الشاميُّ الصالحيُّ الدمشقي (... – ٩٤٢هـ) هذه القضايا والتقطها من حاشية شيخه «نواهد الأبكار وشوارد الأفكار»، وأفردها بالتأليف لتقريبها للنّاس، وألَّف رسالة في ذلك، ووصلت القضايا الاعتزالية التي جمعها إلى ثلاث وعشرين قضيّة، وسمَّى هذه الرسالة «الإتحاف بتمييز ما تبع فيه البيضاويُّ صاحب الكشاف»، فحققتُ هذه الرسالة خدمةً للعلم وأهله على ثلاث نسخ خطية، قارنتُ بينها، وأثبتُ الصواب فيها، وخرَّجت الأحاديث والآثار، وعلَّقتُ على بعض المواضع، وكتبتُ ترجمةً للمؤلف، وهاهي بين أيدي القراء، لهم غنمها، وعليَّ غرمُها.

أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يثيبني عليها، وأن يكتبني في زمرة المدافعين عن دينه المجاهدين في سبيله. آمين.

ترجمة المصنف

ترجمة المصنِّف:

الإمام الحافظ محدِّث الديار المصريَّة ومسندها؛ شمس الدين محمّد بن يوسف بن على بن يوسف الشاميّ الصالحيّ الدمشقيّ، نزيل برقوقية الصحراء، خارج باب النصر بمصر، من أجلِّ تلاميذ الحافظ السيوطيّ.

حلاَّه عصريُّه الشهاب أحمد بن حجر الهيتمي المكي[٢] طالعة كتابه: «الخيرات الحسان» بـ: صاحبنا الشيخ العلاَّمة الصالح الفهَّامة الثقة المطَّلع الحافظ المتتبع؛ الشيخ محمّد الشاميّ الدمشقيّ.

قال الشيخ أبو سالم العيَّاشي [٣]: إمام المحدِّثين.

مؤلفاته:

١- سبل الرشاد في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد.
٢- الآيات العظيمة الباهرة في معراج سيِّد أهل الدنيا والآخرة.
٣- الفصل الفائق في معراج خير الخلائق.
٤- مطلع النور في فضل الطور وقمع المتعدي الكفور.
٥- عقود الجُمان في مناقب أبِي حنيفة النعمان.
٦- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة.
٧- الإتحاف بتمييز ما تبع فيه البيضاويُّ صاحب الكشاف.

وفاته:

توفي يوم الاثنين ١٤ شعبان عام ٩٤٢هـ [٤].

توثيق نسبة الكتاب إلى المؤلف ووصف النسخ الخطيّة

توثيق نسبة الكتاب إلى المؤلف:

جاء في غلاف مخطوطة مكتبة عارف حكمت رقم (٩٣) مصورة مكتبة جامعة أم القرى رقم (٢٢٨/١): تأليف الشيخ محمَّد الشاميّ.

وفي غلاف مخطوطة المكتبة الظاهريَّة مصورة مكتبة الجامعة الإسلاميَّة رقم (٤٤٨٨): للشيخ الإمام محمد بن يوسف الشاميّ صاحب السيرة رحمه الله.

وفي غلاف مخطوطة مكتبة الحرم رقم الميكروفيلم (١١٧٢): جمع الإمام العلاَّمة زكريا بن محمد بن زكريا المحليّ الشافعيّ.

قال حاجي خليفة [٥] في كشف الظنون: وصنَّف الشيخ الإمام محمَّد بن يوسف الشاميّ مختصرًا سمَّاه: الإتحاف بتمييز ما تبع فيه البيضاويُّ صاحب الكشاف، أوَّله: (الحمد لله الهادي للصواب ...) إلخ[٦].

وللكتاب تسع عشرة نسخة مخطوطة في مكتبات العالم، نُسبت في أربع عشرة منها إلى محمد بن يوسف الشامي، أمَّا النسخ الخمس الباقيَّة فقد نُسبت إلى محمد بن علي الداودي.

فنسب بروكلمان الكتاب إلى محمد بن علي الداوودي صاحب كتاب طبقات المفسرين، في المخطوطة التي في جاريت ٣٩٧ [(٢١٢L) ١٢٩٨].

وفي المخطوطة التي في بلديَّة الاسكندريَّة (الشندي/فنون) ٣٣ [٣٠٧٠ج/٢].

وفي المخطوطة التي في دار الكتب بالقاهرة ٣١/١ [٢٧٠].

وفي مخطوطةٍ أخرى بالدار نفسها ٣١/١ [٨٣٨].

ونُسب في الفهرس إلى الداودي في المخطوطة التي في كليَّة سلي أوك (منجانا)٤/٦[(٤٥٥) ٢٢] [٧].

وصف النسخ:

١ ـ نسخة عارف حكمت:

اسم الكتاب: الإتحاف بتمييز ما تبع فيه البيضاوي صاحب الكشاف.

اسم المؤلف: محمد الشامي

اسم الناسخ: بدون.

نوع الخط: فارسي.

تاريخ النسخ: بدون.

عدد الأوراق: ١٠.

عدد الأسطر: ١٨.

الحجم: ١٩ × ١٤ سم.

وهي نسخة ممتازة، وخطُّها فارسيٌّ جميل، ومُيِّزت عناوينُها باللون الأحمر، وهي خاليَّة من السقط، ولذا اخترتُها أصلاً.

٢ـ نسخة المكتبة الظاهريّة:

اسم الكتاب: كتاب الإتحاف بتمييز ما تبع فيه البيضاوي صاحب الكشاف.

اسم المؤلف : للشيخ محمد بن يوسف الشاميّ صاحب السيرة رحمه الله.

٣ـ نسخة مكتبة الحرم:

اسم الكتاب: الإتحاف بتمييز ما تبع فيه البيضاوي صاحب الكشاف.

اسم المؤلف : جمع الإمام العلاَّمة زكريا بن محمد بن زكريا المحلِّي الشافعيّ.

اسم الناسخ: عبد الله بن علي العمودي.

تاريخ النسخ: بدون.

عدد الأوراق: ٧.

الحجم: ١٨ × ٢٥ سم.

وهي نسخة جيِّدة إلاَّ أنَّ بِها بياضًا في بعض المواضع.

النصّ محققًا

الحمد لله الهادي للصواب الَّذي أنزل الكتاب على أشرف رسله تبصرةً وذكرى لأولِي الألباب، والصلاة والسلام على من رقى السموات[٨] السبع وكلَّم ربَّه[٩] من غير واسطةٍ ولا حجاب، ورآه بعينَي[١٠] رأسِه من غير مِرية ولا ارتياب[١١]، وعلى آله وصحبه السادة الأنجاب، صلاةً وسلامًا دائمينِ إلى يوم الحساب، وبعدُ:

فقد انتقيت من حاشية[١٢] سيِّدنا ومولانا وشيخنا الجلال السيوطيِّ الشافعيِّ – تغمده اللهُ تعالى برحمته، وأسكنه بُحبُوحةَ[١٣] جنَّته – على تفسير القرآن العظيم[١٤] للشيخ الإمام العالم العامل ناصر الدين إمام المحققين؛ أبِي [الخير][١٥] عبد الله بن عمر بن محمَّد بن عليّ الشيرازيِّ البيضاويِّ، من قريةٍ يُقال لها: البيضاء من عمل شيراز – أمطر الله عليه من سحائب رحمته ورضوانه، وأسكنه فسيح جنانه – ممَّا [تبع][١٦] فيه القاضي ناصرُ الدين – المشارُ إليه أعلاه[١٧] – صاحبَ الكشاف، ونبَّهَ عليه شيخُنا المذكور – وقاه الله تعالى في الآخرة كلَّ محذور – واعتذر عنه شيخُنا بأنَّها مشية قلم = ما[١٨] تُشدُّ/ (ل١/ب/ظ) إليه الرحال، ويَتنافسُ فيه فحول الرجال، واللهَ أسألُ أن يوفقني وأحبابِي لأشرف الخلال، وأن يُجيرنِي وإيَّاهم بمنِّه وكرمه من الخزي والنكال، إنَّه وليُّ ذلك، وهو حسبنا[١٩]، ونعم الوكيل، وسمَّيتُه: «**الإتحاف بتمييز ما تبع فيه**[٢٠] **البيضاويُّ صاحبَ الكشافِ**»؛ مرتِبًا له[٢١] على سور القرآنِ [٢٢]:

سورة البقرة

١- قوله: (والموتُ زوالُ الحياة) [٢٣].

قال الطيبي [٢٤]: وهو/ (ل٢/ب/أ) على هذا[٢٥] الوجه ليس بعَرَضٍ؛ بل هو أمرٌ عدميٌّ.

قوله: (وقيل: عَرَضٌ يُضادُّها...) إلى آخره [٢٦].

قال الشريف [٢٧]: فيكون أمرًا وجوديًّا.

وذهبت فرقة ثالثة من أهل الحديث إلى أنَّ الموت جسمٌ؛ لورود الأحاديث والآثار مصرِّحةً بذلك، غير أنَّ للأوَّلين أن يقولوا: إنَّهم لم يقصدوا حقيقة الموت في الواقع، بل أثره القائم، ببدن الحيوان عند مفارقة الروح له، فاختلف محلُّ النْزاع.

أخرج[٢٨] الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول اللهﷺ : «**إذا صار أهلُ الجنَّةِ إلى الجنَّة، وأهلُ النَّار إلى النَّار = جيء بالموت؛ حتَّى يُجعلَ بين الجنَّة والنَّار، ثم يُذبح، ثم يُنادِي منادٍ: يا أهل الجنَّة لا موت، ويا أهل النَّار لا موت**»[٢٩]/ (ل٢/أ/ظ).

وأخرج ابن أبِي حاتمٍ وابنُ مردويه عن ابن مسعود رضي الله عنه/ (ل٢/ب/م)، قال: (إذا دخل أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ، وأهلُ النَّارِ النَّارَ = أُتِيَ[٣٠] بالموت في صورة كبش أملح؛ حتَّى يوقف بين الجنَّة والنَّار، ثم يُنادِي منادٍ: هذا الموت الَّذي كان يُميتُ النَّاسَ في الدنيا؛ فلا يبقى أحدٌ إلاَّ نظر إليه، ثم يُذبح بين الجنَّة والنَّار).

والأحاديث في ذلك[٣١] كثيرة، بحيثُ إنَّ طائفةً من أهل الكلام استشكلَتْ ذلك، بناءً على أنَّ الموتَ عَرَضٌ، والعرَض لا ينقلب[٣٢] جسمًا، فكيف[٣٣] يُذبح؟

وتجاسرت طائفةٌ فأنكرت صحة الحديث، ودفعته.

والتحقيق ما أشرنا إليه، وهو أنَّ الموت في الحقيقة هو هذا الجسم الَّذي[٣٤] على صورة كبش كما أنَّ الحياة جسمٌ على/ (ل٣/أ/أ) صورة فرسٍ، لا تمرُّ على شيءٍ إلاَّ حييَ.

وأمَّا المعنى القائم بالبدن عند مفارقة الروح؛ فإنَّما هو أثرُه، فإمَّا أن يكون تَسميتُه[٣٥] بالموت من باب المجاز لا الحقيقة، أو من باب الاشتراك، وحينئذٍ فالأمر في النِّزاع قريبٌ.

تنبيه:

تابَع المصنِّف الكشافَ في هذه المسألة؛ حتَّى إنَّه مشى معه على مذهبه، قال المازريُّ[٣٦] في شرح مسلم: الموت عند أهل السنَّة عَرَضٌ من الأعراض، وعند المعتزلة عدمٌ محضٌ. أهـ.

فأنت/ (ل٢/ب/ظ) ترى المصنِّفَ كيف صدَّر بالقول الَّذي هو مذهب المعتزلة مرجِّحًا له [٣٧]، ثم ثنَّى بالقول الَّذي هو مذهب أهل السنَّة بصيغة التمريض، وما كفاه ذلك حتَّى ذكرَ[٣٨] حجتَه، وردَّها، ولكن كلُّ هذا تلخيصُ كلام الكشاف، وممَّا يدلُّ لأنَّ الموت جسمٌ أو عرَضٌ مخلوقٌ = قوله تعالى: ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ (الإسراء: ٥١)، فسَّره[٣٩] ابن عبَّاسٍ بالموت [٤٠].

٢- قوله: (وقيل: حجارة الكبريت. وهو تخصيصٌ بغير دليل ...) إلى آخره [٤١].

قال شيخُنا – رحمه الله تعالى –: أقول: تبع في ذلك الكشاف، وهذا من جملة [ردِّه] [٤٢] الأحاديث الصحيحة، والتفاسير المرفوعة الثابتة بمجرد الرأي [٤٣]، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون [٤٤]، فإنَّ تفسير الحجارة

هنا بحجارة الكبريت = هو الثابت في المنقول، ولا يُعرف في التفسير غيرُه.

أخرج عبد الرزاق، وسعيد بن منصور في سُننه، وهنَّاد بن السري في كتاب الزهد[٤٥]، وعبدُ بن حُميد، وابنُ جرير[٤٦]، وابنُ أبِي حاتم[٤٧]، وابنُ المنذر، والطبرانِي في الكبير[٤٨]، والحاكم في المستدرك[٤٩]، وصححه البيهقيُّ في البعث والنشور، عن عبد الله/ (ل٣/أ/م) بن مسعود رضي الله عنه/ (ل٣/ب/أ) في قوله تعالى: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (البقرة: ٢٤)، قال: (حجارة الكبريت جعلها الله كما شاء).

وأخرج ابن جريرٍ عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما في الآية، قال: (هي حجارة في النَّار من كبريت أسود) [٥٠].

ومِثلُ[٥١] هذا التفسير الوارد عن الصحابة فيما يتعلق بأمر الآخرة له حكم [الرفع] [٥٢] بإجماع أهل الحديث، وقد أخرج ابن أبِي حاتم مثله عن مجاهد، وأبِي جعفر، وابنِ جُريج.

وجزم به ابنُ جريرٍ، ولم يحكِ خلافَه عن أحدٍ، وعلله بأنَّه أشدُّ حرًّا[٥٣].

٣- قوله: (ولعلَّ ضربًا من الملائكة لا يُخالف الشياطين بالذات ...) إلى آخره [٥٤].

قال شيخُنا – رحمه الله تعالى –: قلت: كان الأولَى بالمصنِّف الإعراضُ عن هذا الكلام، والإضرابُ[٥٥] عنه صفحًا، ولكن هذه ثمرة التوغل في علوم الفلاسفة، وعدم التضلع بالأحاديث والآثار، والَّذي دلَّت عليه الآثار أنَّ إبليس أبو الجنِّ، كما أنَّ آدم أبو الإنس [٥٦]، وأنَّه لم يكن

من الملائكة طرفة عينٍ، وأنَّ المصحح للإستثناء التغليب؛ لكونه كان فيهم، أو منقطعٌ.

٤- **قوله: (روت عائشة رضي الله عنها أنّه عليه السلام قال:** «خُلقت الملائكة من النور، وخُلق الجنُّ من مارجٍ من نار») [٥٧].

أخرجه مسلم، وتمامه: «**وخُلق آدم ممَّا وصف لكم**» [٥٨].

قوله[٥٩]: (لأنَّه كالتمثيل لما ذكرتُ) [٦٠].

قال شيخنا – رحمه الله تعالَى –: أقول: لو أمكن المصنِّف وأشباهه أن يحملوا كلَّ حديثٍ[٦١] على التمثيل لفعلوا، وهذا غيرُ لائقٍ، وليت شعري إذا حُمِل ما ذُكِرَ/ (ل٣/أ/ظ) في خلق الملائكة/ (ل٤/أ/أ) والجنِّ ماذا يصنعُ في بقية الحديث[٦٢] أيحملُ ما ذُكِرَ في خلق آدم على التمثيل[٦٣]، وأنَّه[٦٤] ليس مخلوقًا من تراب، كما هو ظاهر الآية. هذه إحالة للنصوص عن ظواهرها، فلتُحذر هذه الطريقة، فإنَّ مدار المعتزلة عليها، وهم أوَّل من أكثر منها [٦٥]؛ حتَّى إنَّهم أنكروا سؤال منكر ونكير، وعذاب القبر، والميزان، والصراط، والحوض، والشفاعة، ودابَّة الأرض [٦٦]، وحملوا [جميع][٦٧] الأحاديث الواردة في ذلك على التمثيل.

٥- **قوله: (واقتضاه[٦٨] العقل ...)** [٦٩].

هذا ونحوه في الكتاب مشية قلم ممَّا في الكشاف، فإنَّ ذلك ليس [مذهبنا][٧٠].

٦- **قوله: (وإيراده مُنكَّرًا مع تنكير النفس[٧١] للتعميم والإقناط[٧٢] الكليِّ [٧٣])** [٧٤].

قال شيخنا – رحمه الله تعالى –: تبع في ذلك صاحب الكشاف.

وفي بعض الحواشي/ (ل٣/ب/م): إنَّ هذا مذهب المعتزلة، فإنَّهم ينكرون الشفاعة للعصاة، ويحتجُّون بِهذه الآية [٧٥].

وأهل السُّنَّة يقدِّرون: لا تَجزي نفسٌ عن نفسٍ كافرةٍ شيئًا؛ لِما ثبت في الآيات والأخبار الصحيحة.

سورة آل عمران

٧- قوله: (ومعناه: إنَّ الشيطان يطمع ...) إلى آخره [٧٦].

قال شيخنا – رحمه الله تعالَى –: تبع[٧٧] الزمخشريَّ في تأويل الحديث، وإخراجه عن ظاهره، والزمخشريُّ ماشٍ في[٧٨] ذلك على مذهب[٧٩] المعتزلة/ (ل٤/أ/ظ)، فإنَّهم أنكروا الحديث، وقدحوا في صحته.

قال الإمام [٨٠]: طعن القاضي عبد الجبار في هذا الخبر، وقال: إنَّه خبرُ واحدٍ على خلاف الدليل، وذلك [أنّ الشيطان] [٨١] إنَّما يدعو إلى الشرِّ من له تمييز. ولأنَّه لو تمكنَ[٨٢] من هذا لجاز[٨٣] أن يُهلكَ الصالحين، وأيضًا لِمَ خُصَّ عيسى وأمّه/ (ل٤/ب/أ) دون سائر الأنبياء، [ولأنَّه] [٨٤] لو وُجِدَ [النخس] [٨٥] لدامَ أثرُه.

قال الإمام: وبِمثل هذه الوجوه لا يجوز دفع الخبر الصحيح.

وقال صاحب الانتصاف [٨٦]: الحديث مدوَّنٌ في الصحاح؛ فلا يبطله الميلُ[٨٧] إلى برهان الفلاسفة.

قال الشيخ سعد الدين [٨٨]: طعن الزمخشريُّ في صحة الحديث بمجرد أنَّه لم يوافق هواه.

قال شيخنا – رحمه الله تعالَى –: قلت: والعجب من البيضاويِّ أشدُّ، [كيف][٨٩] تبع الزمخشريَّ في تأويله؟ وقال معناه: إنَّ الشيطان يطمع في إغواء كلِّ مولودٍ بِحيثُ يتأثر[٩٠] منه إلاَّ مريم وابنها، فإنَّ الله عصمهما [٩١]، ووجهُ الأشدِّية: أنَّ الزمخشريَّ ألحقَّ بمريم وابنها سائر المعصومين؛ لأنَّ الضرورة داعيةٌ على هذا التأويل إلى ذلك، والبيضاويَّ اقتصر على استثنائهما [٩٢]، فأدَّى كلامُه/ (ل٤/ب/ظ) إلى أنَّ كلَّ مَن سواهما يتأثر من إغوائه، ومنهم بقية المعصومين، وهو باطل قطعًا، والصواب أنَّ الحديث على ظاهره.

٨- قوله: (كقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (التغابن: ١٦)) [٩٣].

قال شيخنا – رحمه الله تعالَى –: تابع فيه الزمخشريَّ.

وقد قال الطيبِيُّ: إنَّ الزمخشريَّ قال[٩٤] ذلك بناءً على مذهبه أنَّه[٩٥] لا يجوز التكليف بِما لا يُطاق ابتداءً، والَّذي ذكره الزجاجُ وغيره: أنَّ قوله: ﴿اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ (أل عمران: ١٠٢) منسوخٌ بقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (التغابن:١٦).

قال: ولهاتين الآيتين أسوة بقوله: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٦)؛ فإنَّها منسوخة بقوله: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ / (ل٤/أ/م) يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ﴾ (البقرة:٢٨٤).

٩- قوله: (فيكون تسمية حرمان المستحقين غلولاً[٩٦] = تغليظًا، ومبالغةً ثانيًا) [٩٧].

قال ابن المنير: هذا مخالفٌ لعادَّة[٩٨]/ (ل٥/أ/أ) لطف الله برسوله ﷺ في التأديب، ومزجه باللطف [٩٩]: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ (التوبة: ٤٣) بدأه[١٠٠] بالعفو، فما كان له أن يُعبِّر بِهذه العبارة.

قال الطيبِيُّ بعد حكايته: قد جاء أغلظ من ذلك بناءً على التهييج والإلهاب، نحو قوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ (الزمر: ٦٤)، والتعريض نحو قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ﴾ (السجدة: ٢٢)، ومن هذا الأسلوب قوله تعالَى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ﴾ (البقرة: ١٨٧)، قال: كَنَّى عن مباشرة النساء بالرفث استهجانًا لِما وجد منهم/ (ل٥/أ/ظ) قبل الإباحة، كما سمَّاه اختيانًا.

قال شيخُنا – رحمه الله تعالَى –: قلت: ما قاله الطيبِيُّ لا يُلاقي ما قاله ابن المنير، فإنَّ ابن المنير لم يُنكر الخطاب الوارد من الله تعالى في هذا المعنَى، وإنَّما أنكر[١٠١] قول الزمخشريِّ: تغليظًا، فإنَّ هذه اللفظة لا تليق، [ولِهذا] [١٠٢] عبَّر الطيبِيُّ في الآية التي أوردها بالتهييج والإلهاب، ولم يَجسرْ[١٠٣] هو ولا غيره أن يعبِّروا بالتغليظ [١٠٤]، ولهذا قال الشيخ سعد الدين هنا[١٠٥]: قد استقبحتُ من المصنِّف هذه العبارة، فإنَّ العادة قد جرت باللطف مع النبيِّ ﷺ، فالأَوْلَى أنَّه تعظيمٌ لجنابه ﷺ حيثُ عُدَّ أدنَى زلَّةٍ غلولاً [١٠٦]، ثم لا يعجبني قولُه: (أدنَى زلَّةٍ)، فإنَّه ﷺ منَزهٌ عن الزلَّة بل فِعْلُه ذلك – إن صحَّ – صادرٌ عن اجتهادٍ، ولا ينقض.

والأَوْلَى أن يكون على حدِّ ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ ﴾ (الزمر: ٦٤) خُوطِب وأُرِيد غيره ممَّن[١٠٧] يفعل هذا بعد النهيِّ [١٠٨].

١٠- قوله: (وفي ذكر الإرادة إشعارٌ بأنَّ كفرهم بلغ الغاية؛ حتَّى أراد أرحم الراحمين أن لا يكون لهم حظٌّ من رحمته) [١٠٩].

قال شيخُنا – رحمه الله تعالَى –: تبع فيه الكشاف، حيث قال: فإن قلتَ هلاَّ قيل: لا يجعل/ (ل٥/ب/أ) الله[١١٠] لهم حظًّا في الآخرة : أي نصيبًا من الثواب، ولهم بدل الثواب عذاب عظيم، وأيُّ فائدة في ذكر الإرادة.

قلتُ: فائدته الإشعارُ بأنَّ الداعي إلى [حرمانِهم] [١١١] وتعذيبهم قد خلص خلوصًا/ (ل٥/ب/ظ) لم يبق معه صارفٌ[١١٢] قطُ، حين سارعوا إلى الكفر تنبيهًا على تماديهم[١١٣] في الطغيان، وبلوغهم الغاية؛ حتَّى إنَّ أرحم الراحمين يريد أن لا يرحمهم.

قال الطيبيُّ: السؤال والجواب مبنِيٌّ /(ل٤/ب/م) على مذهبه، والسؤال من أصله غيرُ متَّجه؛ لأنَّه عدولٌ عن الظاهر، فإنَّ قوله: ﴿يرُيِدُ الله أَنْ لا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا﴾ = استئنافٌ لبيان الموجب، كأنَّه قيل: لِمَ يسارعون في الكفر مع أنَّ المضرَّة عائدة عليهم؟ فأُجيب: إنَّه تعالَى يريد ذلك منهم، فكيف لا يُسارعون إليه [١١٤]؟!

سورة النساء

١١- قولـه: (مفعول لـه، والمعنَـى: أحلَّ لكـم مـا وراء ذلكـم إرادة أن تبتغوا ...) إلى آخره[١١٥].

قال شيخُنا – رحمه الله تعالَى –: تبع في ذلك الزمخشريَّ.

وقد قال أبو حيَّان: إنَّ فيه تحميلَ لفظِ القرآن ما لا يدلُّ عليه، وتفسيرَ الواضحِ الجليِّ باللفظ المعقد، ودسَّ[١١٦] مذهبِ الاعتزال في غضون ذلك دسًّا[١١٧] خفيًّا؛ إذ جعل قوله: ﴿أَن تَبْتَغُواْ﴾ (النساء: ٢٤) على حذف مضافين: أي إرادة كون ابتغائِكم بأموالكم. وفسَّر الأموال بعدُ بالمهور، وما يُخرَج في النكاح فتضمن اختصاص إرادته بالحلال[١١٨] الَّذي هو النكاح دون السفاح.

وظاهر الآية غير هذا[١١٩] الَّذي فهمه الزمخشريُّ؛ إذ الظاهر أنَّه تعالَى أحلَّ لنا ابتغاء ما سوى المحرمات السابق ذكرها بأموالنا حالة الإحصان، لا حالة السِفاح.

وعلى هذا الظاهر لا يجوز أن يعرب ﴿أَن تَبْتَغُواْ﴾ مفعولاً له، كما قاله الزمخشريُّ/ (ل٦/أ/أ)؛ لأنَّه فات شرطٌ[١٢٠] من شروط المفعول/ (ل٦/أ/ظ) له، وهو اتِّحادُ العامل في الفاعل والمفعول له؛ لأنَّ الفاعل في قوله: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم﴾ هو الله، والفاعل في ﴿أَن تَبْتَغُواْ﴾ هو ضمير المخاطبين، فقد اختلفا.

ولمَّا أحسَّ الزمخشريُّ بِهذا جعل ﴿أَن تَبْتَغُواْ﴾ على حذف إرادة؛ حتَّى يتحد الفاعل في قوله: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم﴾ وفي المفعول له.

ولم يجعل ﴿أَن تَبْتَغُواْ﴾ مفعولاً له إلاَّ[١٢١] على حذف المضاف وإقامته مُقامه، وهذا كلُّه خروجٌ عن الظاهر لغير داعٍ إلى ذلك.

سورة الأعراف

١٢- قوله: (وفيه دليلٌ على أنَّ كشف العورة في الخلوة، وعند الزوج[١٢٢] من غير حاجَّة = قبيحٌ مستهجنٌ [في الطباع][١٢٣]) [١٢٤].

قال شيخنا – رحمه الله تعالَى –: تبع فيه[١٢٥] صاحبَ الكشاف وقد قال ابن المنير: إنَّ[١٢٦] فيه ميلاً إلى الاعتزال، وأنَّ العقل يُقبِّح ويستحسن [١٢٧].

قال: وهذا[١٢٨] اللفظ لو صدر من النبيِّ كان تأويله أنَّ العقل أدرك المعنَى الَّذي لأجله حسَّن الشرعُ الستر، وقبَّح الكشف.

سورة التوبة

١٣- قوله: (كناية عن [خطئه] [١٢٩] في الإذن لهم [١٣٠]؛ فإنَّ العفو من روادفه)/ (ل٥/أ/م) [١٣١].

قال شيخنا – رحمه الله تعالَى –: تبع في هذه العبارة السيِّئة الزمخشريَّ، وقد قال صاحب الانتصاف[١٣٢]: هو بين أمرين، أحدهما: أن لا يكون هذه المعنى مرادًا فقد أخطأ، أو يكون مرادًا ولكن كنَّى الله عنه إجلالاً ورفعًا لقدره، أفلا يُتأدب بآداب[١٣٣] الله تعالى، لا سيَّما في حقِّ المصطفى ﷺ.

وقال الطيبِيُّ: أخطأ الزمخشريُّ في هذه العبارة خطأً فاحشًا، ولا أدري/ ل٦/ب/ظ) كيف ذهب عنه، وهو العَلَم في استخراج لطائف المعانِي أنَّ في أمثال هذه الإشارات، وفي تقديم[١٣٤] العفوِ = إشعارًا[١٣٥] بتعظيمِ المخاطبِ وتوقيره[١٣٦] وتوقير حرمته.

وقال/ (ل٦/ب/أ) السجاويندي[١٣٧]: ﴿عَفَا اللّهُ عَنكَ﴾ (التوبة: ٤٢) تعليمٌ بِعظمته صلوات الله وسلامه عليه، [ولولا تصدر][١٣٨] العفو في المقال ما قام بصولة[١٣٩] الخطاب، وربَّما تستعمل فيما لم يُسبَق فيه ذنبٌ، ولا يُتصوَّر، كما تقول لمن تُعظمه: عفا الله عنك، ما صنعتَ في أمري؟ رضي الله عنك ما جوابُك عن كلامي؟ ومنه قوله ﷺ: «**لقد عجبتُ من يوسف وكرمه وصبره، واللهُ يغفر له**»[١٤٠].

وقال الشيخ سعد الدين: ما كان ينبغي أن يعبِّر بِهذه العبارة الشنيعة بعد ما راعى الله سبحانَه رسولَه ﷺ بتقديم العفو، وذِكرِ الإذن المبني عن علو المرتبة [١٤١]، وقوة التصرف، وإيراد الكلام في صورة الاستفهام، وإن كان القصد على الإنكار على أنَّ قوله : ﴿عَفَا اللّهُ عَنكَ﴾ (التوبة: ٤٢) قد يُقال[١٤٢] عند تركِ الأَوْلَى والأفضل [١٤٣]، بل في مقام التعظيم والتبجيل، مثل: عفا الله عنك ما صنعت في أمري؟

وقد ألَّف في هذا الموضع ردًّا على الزمخشريَّ البدرُ حسنُ بن محمد بن صالح البابليُّ الحنبليُّ كتابًا سمَّاه: «**جَنَّة الناظر وجُنَّة المناظر في الانتصاف من أبِي القاسم للطاهر** [١٤٤] ﷺ»، وألَّف شيخُ الإسلام التقيُّ السبكيُّ – رحمه الله تعالى – كتابًا سمَّاه «**سبب الانكفاف عن إقراءِ**[١٤٥] **الكشاف**».

سورة يونس

١٤- قوله: ([من][١٤٦] أفناء[١٤٧] رجالهم ...) [١٤٨].

قال شيخنا – رحمه الله تعالى – في الصحاح: يقال: في أفناء[١٤٩] النّاس إذا لم يُعلم من هو؟

وقال الشيخ سعد الدين: أي ممَّن لا شهرة/ (ل٧/أ/ظ) له بجاهٍ ومالٍ ورياسةٍ، ونحو ذلك ممَّا يعدونه من أسباب العزِّ والإجلال، وإلاَّ فهو عندهم بحسبِ شَرَفِ النسب = أظهر من الشمس/ (ل٥/ب/م).

قال شيخنا – رحمه الله تعالَى –: قلت: وهذه العبارة التي ذكرها المصنِّف تبع فيها الزمخشريَّ، ولو تحامى عنها لكان أوَّلى، والَّذي/ (ل٧/أ/أ) [عندي] [١٥٠] في تفسير قوله: ﴿إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾. (يونس: ٢) أي مشهور بينهم يعرفون نسبه، وجلالته، وأمانته، وعفته، وصدقه، كما قال في آخر السورة التي قبلها: ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ (التوبة: ١٢٨) فإنَّ هذا هو محلُّ إنكار العجب، فيكون هذا[١٥١] وجه مناسبة وضع السورة بعد تلك، واعتلاق أوَّل هذه بآخر تلك، ونظيره: ﴿وَلَقَدْ جَاءهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ﴾ (النحل: ١١٣)، ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾ (البقرة: ١٢٩)، وما كان للزمخشريِّ[١٥٢] أن يحمل للقرآن معنًى[١٥٣] لا دلالة[١٥٤] عليه بالوضع، وفيه حكاية غضٍ من هذه المقام الرفيع زعمًا أنَّه يأخذ ذلك من أساليب البيان بطريق الالتزام، لا سيَّما وغيره من طريق[١٥٥] البيان أظهر وأنسب وأوفق لما خُتمت به السورة المتقدمة، والله وليُّ التوفيق.

١٥- قوله: (وقيل: الحُسنَى الجنَّة، والزيادة[١٥٦] اللقاء)[١٥٧].

قال شيخنُا – رحمه الله تعالى –: قلتُ: ما أنصف المصنِّف حيثُ جعل هذا القول آخر الأقوال وأضعفها، ورجَّح غيره، وهو الثابت عن رسول الله ﷺ نصًّا في تفسير هذه الآية فيما أخرجه مسلم في صحيحه، وعن الصحابة أبي بكر الصديق وحذيفة وأبي موسى وعبادة بن الصامت وغيرهم، والأحاديث والآثار بِهذا التفسير كثيرة أوردتُها في التفسير المأثور، ولعلَّ المصنِّف سها [عند] [١٥٨] كتابة هذا الموضع/ (ل٧/ب/ظ)،

ومشى على قول الزمخشريِّ: وزعمت المشبِّهة المُجبِّرة: أنَّ الزيادة[١٥٩] النظر إلى وجه الله تعالى، وجاءُوا[١٦٠] بحديث مرقوعٍ –بالقافِ.

قال الطيبِيُّ: هو عنده بالقاف: أي مفترى، وأمَّا أهل السُّنَّة فهو مرفوع – بالفاء –.

قال في الانتصاف منكرًا عليه: بل كذَّبوا بما لم يحيطوا بعلمه، والحديث مدوَّن في الصحاح، وقد جعل/ (ل٧/ب/أ) أهل السُّنَّة جاءوا به[١٦١] من عند أنفسهم، فحسبُه الله.

قال الزمخشريُّ في موضع آخر:

لجماعةٍ سمَّوا هواهم سنةً وجماعة حمرٌ لعمري مُوكفةْ/(ل٦/أ/م)
قد شبَّهوه بخلقه وتخوفوا[١٦٢] شنَّع الورى وتستروا بالبلكفةْ

قال ابنُ المنير: انتقل إلى الهجاء، وقد أذن رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت رضي الله عنه في المنافحة، وهجاء المشركين، [فتأسيتُ][١٦٣]، وقلتُ:

وجماعة كفروا برؤية ربِّهم هذا ووعدُ الله ما أن يُخلفَه
وتلقبوا عدليةً قلنا أجل عدلوا بربِّهم فحسبهم[١٦٤] سفه
وتلقبوا النـاجين كلاَّ إنَّهم إن لم يكونوا في لظى فعلى شفَه

وقال أبو حيَّان: نظم[١٦٥] بعض علماء السنَّة، وهو القاضي أبو بكر بن أحمد بن خليل، فقال:

شـــبَّهت جهـــلاً صـــدرَ أمَّـــة أحمـــد وذوي البصـــائر بـــالحميرِ الموكفـــةْ
وزعمـــتَ أن قـــد شـــبَّهوا معبـــودهم وتخوَّفـــوا[١٦٦] فتســـتروا بالبلكفـــةْ
ورميـــتهم عـــن بيعـــة ســـويتها رمـــي الوليـــد غـــدا يُمـــزق مصـــحفةْ
وجـب الخسـارُ عليـك فـانظر منصـفًا في آية الأعرافِ فهي المنصِفَةْ/(ل٨/أ/ظ)
أتـرَى الكلـيمَ أتَـى بجهـلٍ مـا أتـى وأتـى[١٦٧] شـيوخك مـا أتـو عـن معرفـةْ

إلى أن قال:

لـــو كـــان كالمعـــدوم عنـــدك لا يُـــرى ذهـــب التمـــدح فـــي هـــواء السفســـفة

إلى أن قال:

إنَّ الوجـــــوه إليـــــك نـــــاظرة بِـــــذا جـــــاء الكتـــــابُ فقلـــــتمُ هـــــذا ســـــفة
نطـــق الكتـــابُ وأنـــت تنطـــق بـــالهوى فهوى الهوِيُّ في المهاوي المُتلِفة[١٦٨]/ (ل٨/أ/أ)
فـــــالنفيُّ مخـــــتصٌّ بـــــدارٍ بعـــــدها لـــك – لا أبـــا لـــك – موعـــدًا لـــن تُخلفـــه

وقال الإمام فخر الدين الجابردي [١٦٩]، وهو ممَّن اجتمع بالقاضي ناصر الدين البيضاويِّ، وأخذ عنه:

عجبًـــا لقـــومٍ ظـــالمين تســـتروا بالعـــدل مـــا فـــيهم لعمـــري معرفـــةْ
قـــد جـــاءهم مـــن حيـــثُ لا يدرونَـــه تعطيـــلُ ذاتِ الله مـــع نفـــيِّ الصـــفةْ

وقال القاضي تاجُ الدين السُّبكيُّ – رحمه الله تعالى –:

لجماعـــة جـــاروا وقـــالوا إنَّهـــم للعلـــم أهـــل مـــا لهـــم مـــن معرفـــةْ
لـم يعرفـوا الـرحمن بـل جهلـوا ومـن ذاعـوا رضـوا للجهـل عـن لمـح الصـفةْ

سورة مريم

١٦- قولـه: (ولعلَّـه لتهـيج شـهوتُها فتنحـدر نطفتُهـا إلـى رحمها) (١٧٠).

قال شيخنُا – رحمه الله تعالى –: قلتُ: كان المصنِّف في غُنيةٍ عن هذا الكلام الفاسد/ (ل٦/ب/م)، ولكن هذه ثمرة(١٧١) التوغل في الفلسفة(١٧٢).

سورة المؤمنين

١٧- قوله: (نداء وخطاب لجميع الأنبياء (١٧٣)**، لا على أنَّهم خوطبوا/ (ل٨/ب/ظ) بذلك دفعة؛ لأنَّهم أرسلوا في أزمنة مختلفة، بل على معنَى أنّ كلاًّ منهم خُوطب في زمانه)** (١٧٤).

قال شيخنا – رحمه الله تعالَى –: تبع في ذلك صاحب الكشاف، وقد قال صاحب الانتصاف، وتبعه الطيبِيُّ: هذه نفحة اعتزالية، فمذهبنا أنَّ الله تعالَى في الأزل متكلمٌ آمِرٌ ناهٍ. ولا يُشترط في الأمر وجود المأمورين، بل الخطاب أزلاً على تقدير وجود المخاطبين، والمعتزلة أنكروا قدم الكلام، فحملوا الآية على خلاف ظاهرها(١٧٥)، وما ذكروه جارٍ في جميع الأوامر العامَّة للآية.

سورة الحديد

١٨- قولـه: (أي وقد أخذ الله ميثاقكم بالإيمان/ (ل٨/ب/أ). قيل: وذلك بنصب الأدلة، والتمكن[١٧٦] من النظر) [١٧٧].

قال شيخنا – رحمه الله تعالَى –: تبع في ذلك صاحب الكشاف، وقد قال ابن المنير: وماذا عليه أن [يَحمل] [١٧٨] الأخذ على حقيقته، وهو المأخوذ يوم الذرِّ [١٧٩]، فكلما أجازه العقل، وورد به[١٨٠] السمع = وجب الإيمان به.

سورة التحريم

١٩- قولـه: (﴿وَاللهُ غَفُورٌ﴾ لك هذه الزّلة؛ فإنَّه لا يجوز تحريم ما أحلَّه الله) [١٨١].

قال شيخنُا – رحمه الله تعالَى –: الله أكبر، استغفر الله من هذه الكلمة الشنعاء، ما حكيتُها إلاَّ لأردّها، وأحذر النَّاس منها [١٨٢]، والمصنِّف تبع [فيها] [١٨٣] الزمخشريَّ، وقد أطبق[١٨٤] الأئمة على التشنيع عليه فيها.

قال صاحب الانتصاف: افترى الزمخشريُّ على رسول الله ﷺ بتحريم ما أحلَّ[١٨٥] الله تعالَى؛ لأنَّه ليس لأحدٍ أن يعتقد حِلَّ ما حرَّم الله، وذلك لا يصدر من مؤمن، وأمَّا مجرد الامتناع من الحلال فقد يكون مؤكدًا باليمين، وليس من ذلك، وغاية الأمر أنَّه حلف لا يقرب مارية، فنَزلت كفارة اليمين، ومعاذ الله[١٨٦] ممَّا نسبه الزمخشريُّ إليه ﷺ [١٨٧]. أهـ

سورة المزمل

٢٠- قوله: (سمَّى به النبيُّ ﷺ/ (ل٩/أ/ظ) تَهجينًا لما كان عليه)[١٨٨].

قال شيخنا – رحمه الله تعالَى –: تبع في ذلك الزمخشريَّ، وقد/ (ل٧/أ/م) قال صاحب الانتصاف: هذا القول سوء أدب، فالعلماء جعلوا نداءه بالمزمل وغير ذلك من الصفات تشريفًا له، إذ لم يُناده باسمه[١٨٩].

سورة المدثر

٢١- قوله: (﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَتَهمْ إلاَّ﴾ العدد الَّذي اقتضى فتنتهم، وهو التسعة عشر) [١٩٠].

قال شيخنا – رحمه الله تعالَى –: تبع في ذلك صاحب الكشاف [١٩١]، وقد قال/ (ل٩/أ/أ) أبو حيَّان: إنَّه تحريف لكتاب الله تعالى؛ إذا زعم أنّ معنَى: ﴿إلاَّ فِتْنَةً لِلْذَيْنَ كَفَرُوْا﴾ إلاَّ تسعة عشر، وهذا لا يذهب إليه عاقلٌ، ولا من له أدنَى ذكاء.

وقال[١٩٢] صاحب الانتصاف: وما ألجأ الزمخشريَّ إلى ذلك إلاَّ الاعتقادُ أنَّ الله سبحانه وتعالَى ما فتنهم، وبئست العقيدة.

سورة عبس

٢١- قوله: (أو لزيادة الإنكار ...) إلى آخره [١٩٣].

قال شيخنا – رحمه الله تعالَى –: تبع في ذلك الزمخشريَّ، وقد قال ابن المنير: غلط في كلامه، وما كان ينبغي له ذلك.

٢٢- قوله: (وأسند الشقَّ إلى نفسه؛ إسناد الفعل إلى السبب) [١٩٤].

قال شيخنا – رحمه الله تعالَى –: تبع في ذلك الزمخشريَّ.

قال ابن المنير: ما رأيتُ كاليوم عبدًا ينازع ربَّه عزَّ وجلَّ في قوله: ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾ (عبس: ٢٦) فيجعل هذه الإضافة إلى الله – عزَّ وجلَّ – مجازًا، ويجعل إضافة شقِّ الأرض إلى الحارث حقيقةً.

سورة الكافرين[١٩٥]

٢٣- قوله: (وإنَّما لم يقل ما عبدت ... إلى قوله: وهو لم يكن يومئذٍ[١٩٦] موسومًا بعبادة الله عزَّ وجلَّ[١٩٧]) [١٩٨].

قال شيخنا – رحمه الله تعالَى –: تبع في ذلك الكشاف، وقد قال صاحب الانتصاف: إنَّه خطأ مبني على أصله الفاسد، والحقُّ أنَّه ﷺ/ (ل٩/ب/ظ) كان متعبدًا قبل الوحيِّ، يتحنث في غار حراء.

وقال أبو حيَّان: هذا[١٩٩] سوء أدب على منصب النبوة، وغير صحيح؛ لأنَّه عليه/ (ل٩/ب/أ) الصلاة والسلام لم يزل موَّحدًا لله تعالَى، متجنبًا لأصنامهم، يحجُّ بيت الله، ويقف بمشاعر إبراهيم.

وقال الحلبِيُّ [٢٠٠]: ما قاله الزمخشريُّ مذهب مرجوح جدًّا ساقطُ الاعتبار، تردُّه الأحاديث الصحيحة، وهي: كان يتحنث/ (ل٧/ب/أ)[٢٠١]، كان يتعبد [٢٠٢]، كان يطوف، كان يقف، ولم يقل بخلافه إلاَّ شذوذٌ من النَّاس).

فائدة نختم بِها هذا الكتاب [٢٠٣]، قال الإمام البيضاويُّ – رحمه الله تعالَى– في سورة يوسف [٢٠٤]: وعن النبيِّ ﷺ: «**تكلم في المهد أربعة**

صغار؛ [ابن] ماشطة ابنة فرعون [٢٠٥]**، وشاهد**[٢٠٦] **يوسف، وصاحب جريج، وعيسى»**.

قال الطيبِيُّ: تردّه دلالة الحصر في حديث الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبيِّ ﷺ، قال: «**لم يتكلم في المهد إلاَّ ثلاثة؛ عيسى ابن مريم، وصاحب جريج، وصبيّ كان يرضع** [٢٠٧]**، فمرَّ راكبٌ حسن الهيئة. فقالت أمّه: اللهم اجعل ابني مثل هذا الراكب**[٢٠٨]**. فقال الصبيُّ: اللهم لا تجعلني مثله**»[٢٠٩].

قلتُ [٢١٠]: قال شيخنا – رحمه الله تعالى –: قلتُ: هذا منه على جارِي عادته من عدم الاطِّلاع على طرق الأحاديث، والحديث الذي أورده المصنِّف صحيحٌ، أخرجه الإمام أحمد في مسنده، وابن حبَّان في صحيحه، والحاكم في المستدرك وصححه من حديث ابن عبَّاس[٢١١]، وراوه الحاكم أيضًا من حديث[٢١٢] أبي هريرة، وقال: صحيح[٢١٣] على شرط الشيخين.

وفي حديث الصحيحين المشار إليه آنفًا زيادة على الأربعة؛ الصبيّ الذي كان/ (ل١٠/أ/أ) يرضع أمّه فمرَّ راكبٌ .. إلى آخره. فصاروا خمسة، وهم أكثر من ذلك ففي صحيح مسلم تكلم الطفل الَّذي في قصة أصحاب[٢١٤] الأخدود.

وقال شيخنا – رحمه الله تعالى –: وقد جمعتُ من تكلم في المهد فبلغوا[٢١٥] أحد عشر، ونظمتُها، فقلتُ [٢١٦]:

تكلـــم فـــي المهـــد النبـــيُّ محمـــدٌ ويحيـــى وعيســـى والخليـــل ومـــريمُ
ومبـــري جـــريجٍ ثـــم شـــاهدُ يوســـفَ وطفـلٌ لـذوي[٢١٧] الأخـدودِ يرويـه مسـلمٌ
وطفـــلٌ عليـــه مُـــرَّ بالأمـــة التـــي يُقـــال لهـــا تزنِـــي ولا تـــتلكمُ
وماشـــطةٌ فـــي عهـــدِ فرعـــونَ طفلُهـــا وفـــي زمـــنِ المبـــاركِ[٢١٨] نَخـــتمُ

نَجز بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه، وصلى الله على سيِّدنا محمَّد، وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا دائمًا [٢١٩].

الهوامش:

(١) الطبري، جامع البيان (٨٠/١)، وابن تيمية، مقدمة أصول التفسير (٣٦).

(٢) هو أحمد بن محمد بن عليّ بن حجر الهيتميّ السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس، فقيه باحث مصري ، مولده في محلة أبي الهيتم ٩٠٩هـ، وإليها نسبته، ومات بمكة سنة ٩٧٤هـ، له: الفتاوى الهيتميّة، مبلغ الأرب في فضائل العرب. انظر: الزركلي، الأعلام (٢٣٤/١).

(٣) هو عبد الله بن محمد بن أبي بكر العيّاشي، أبو سالم، فاضل من أهل فاس، نسبته إلى آل عياش، قام برحلة دوَّنَها في كتابه: الرحلة الهاشميّة، ولد سنة ١٠٣٧، وتوفي سنة ١٠٩٠هـ . انظر: الزركلي، الأعلام (١٢٩/٤).

(٤) انظر ترجمته في ابن العماد، شذرات الذهب (٢٥٠/٨)، والكتاني، الرسالة المستطرفة (ص: ١٥١)، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي (٣٠٤/٢)، والزركلي، الأعلام (١٥٥/٧).

(٥) هو مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي، المعروف بالحاج خليفة، مؤرخٌ بحَّاثة، تركي الأصل مستعرب، ولد سنة ١٠١٧هـ بالقسطنطينية، وتوفي بها سنة ١٠٦٧هـ، تولى أعمالاً كتابية في الجيش العثماني، صحب والي حلب محمد باشا إلى مكة، فحجّ وزار خزائن الكتب الكبرى وعاد إلى الآستانة، له: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، وتحفة الكبار في أسفار البحار. انظر: الزركلي، الأعلام (٢٣٦/٧).

(٦) حاجي خليفة، كشف الظنون (٢٠٢/١).

(٧) انظر: الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط (علوم القرآن ٥٦٨/١-٥٦٩).

(٨) في (م): (للسموات).

(٩) في (ظ): (وكلَّمه ربُّه).

(١٠) في (ظ): (بعين).

(١١) أنكرت عائشة وابن مسعود ﷺ رؤية النبيِّ صلى الله عليه وسلم لربِّه بعيني رأسه، واختلفت الرواية عن ابن عبّاس، فصحَّ عنه أنَّه رأى ربَّه، وصحَّ عنه أنَّه رآه بفؤاده.

وحكى عثمان بن سعيد الدرامي اتفاق الصحابة على أنَّه لم يره، وشيخ الإسلام يُوجِّه الرؤية التي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما بأنَّ الرؤية كانت منامًا في المدينة، وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: «رأيت ربِّي في أحسن صورة»، وبه يستقيم حكاية عثمان بن سعيد الدارمي الاتفاق عن الصحابة، وعليه فيُوجَّه كلام المصنِّف بأنَّ ذلك كان منامًا لا يقظة، أمَّا إن كان يقصد أنَّ ذلك حصل يقظة لا منامًا؛ فهو غالط في ذلك بإجماع أهل العلم والإيمان. انظر: ابن القيم، زاد المعاد (٣٧/٣)، والنوويّ، التبيان في آداب القرآن (ص: ١١٦٤)، وابن تيمية، مجموع الفتاوى (٣٩٠/٣).

(١٢) واسمها: نواهد الأبكار وشوارد الأبكار.

(١٣) في (م): (بُحبُوح).

(١٤) واسمه: أنوار التنْزيل وأسرار التأويل.

(١٥) في (أ): (أبي الحسين).

(١٦) في (أ): (تتبع).

(١٧) في (م) زيادة: (الله).

(١٨) (ما) اسم موصول مفعول انتقيت، أي: انتقيت من حاشية سيدنا ما تشد إليه الرحال.

(١٩) في (م): (وحسبنا الله).

(٢٠) في (م): (به).

(٢١) قوله: (له) ليس في (م).

(٢٢) في (ظ): (الكريم).

(٢٣) قاله البيضاويُّ في تفسيره: (٢٠٤/١).

(٢٤) هو شرف الدين الحسن بن محمَّد الطيبي، كتب حاشية على تفسير الكشاف، وهي من أجلِّ حواشيه. انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون (٤٠٥/١)

(٢٥) في (م): (هذي).

(٢٦) قال البيضاويُّ (التفسير: ٢٠٤/١): (وقيل: عرض يضادها لقوله: ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾، ورُدَّ بأن الخلق بمعنى التقدير والإعدام مقدرة).

(٢٧) هو الشريف عليُّ بن محمَّد بن علي الجرجانِي، صاحب كتاب التعريفات، كتب حاشية على تفسير الكشاف، وقف في أواسط سورة البقرة، ت: ٨١٦هـ. انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون (٤٠٦/٢)

(٢٨) في (م): (أخرجه).

(٢٩) أخرجه البخاريُّ، الجامع الصحيح، رقم: (٦٥٤٨) ١٤٢/٨ ك الرِّقاق، باب صفة الجنَّة والنَّار. ومسلم، الجامع الصحيح، رقم: (٢٨٥٠) ٢١٨٩/٤ ك الجنَّة وصفة نعيمها وأهلها، باب النَّار يدخلها الجبَّارون، والجنَّة يدخلها الضعفاء.

(٣٠) في (م): (جيء).

(٣١) في (م): (هذا).

(٣٢) في (م): (لا يتقلب).

(٣٣) في (م): (وكيف).

(٣٤) في (م) زيادة: (هو).

(٣٥) في (م): (تُسمِّيت).

(٣٦) في (م): (الماورديُّ).

(٣٧) قوله: (له) ليس في (م).

(٣٨) في (م): (أذكر).

(٣٩) في (م): (فسَّرها).

(٤٠) انظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان (٨٨/٨).

(٤١) قال البيضاويُّ (التفسير: ٢٣٩/١): (وقيل: حجارة الكبريت، وهو تخصيص بغير دليل، وإبطال للمقصود؛ إذ الغرض تَهويل شأنِها وتفاقم لهبها، بحيث تتقد بما لا يتقد به غيرها، والكبريت تتقد به كلُّ نار، وإن ضعفت، فإن صحَّ هذا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما؛ فلعله عنى به أنّ الأحجار كلها لتلك النار كحجارة الكبريت لسائر النيران).

(٤٢) في (أ): (رواية)، وفي (م): (ردّ).

(٤٣) في (م): (التراثي).
(٤٤) في (م): (فإنَّا لله) فقط.
(٤٥) انظر: الزهد لهناد (١٧٩/٢).
(٤٦) انظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان (٢٠٤/١).
(٤٧) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٦٤/١).
(٤٨) انظر: الطبراني، المعجم الكبير (٢١٠/٩).
(٤٩) انظر: الحاكم، المستدرك (٢٨٧/٢).
(٥٠) انظر: ابن جرير، جامع البيان (٢٠٤/١).
(٥١) في (م): (وقيل).
(٥٢) في (أ): (الواقع).
(٥٣) انظر: ابن جرير، جامع البيان (٢٠٤/١).
(٥٤) قال البيضاويُّ (التفسير: ٢٩٤/١-٢٩٥): (والأية تدلُّ على أنَّ آدم عليه السلام أفضل من الملائكة المأمورين بالسجود له ولو من وجه، وأنَّ إبليس كان من الملائكة، وإلاَّ لم يتناوله أمرهم، ولا يصح استثناؤه منهم، ولا يرد على ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ لجواز أن يقال: إنه كان من الجن فعلاً، ومن الملائكة نوعًا. ولأنَّ ابن عباس رضي الله تعالى عنهما روى: أنَّ من الملائكة ضربًا يتوالدون يقال لهم: الجن. ومنهم إبليس ولمن زعم أنَّه لم يكن من الملائكة أن يقول: إنَّه كان جنيًّا نشأ بين أظهر الملائكة وكان مغمورًا بالألوف منهم فغلبوا عليه، أو الجن أيضًا كانوا مأمورين مع الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم، فإنَّه إذا علم أنَّ الأكابر مأمورون بالتذلل لأحد، والتوسل به= علم أنَّ الأصاغر أيضًا مأمورون به، والضمير في﴿فَسَجَدُوا﴾ راجع إلى القبيلين كأنَّه قال: فسجد المأمورون بالسجود إلاَّ إبليس، وأنَّ من الملائكة من ليس بمعصوم، وإن كان الغالب فيهم عدم العصمة، ولعلَّ ضربًا من الملائكة لا يخالف الشياطين بالذات، وإنَّما يخالفهم بالعوارض والصفات كالبررة والفسقة من الإنس والجن يشملهما، وكان إبليس من هذا الصنف كما قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، فلذلك صحَّ عليه التغير عن حاله والهبوط من محله، كما أشار إليه بقوله عزَّ وعلا: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ لا يقال كيف يصح ذلك).
(٥٥) في (م): (والإعراض).
(٥٦) في (ظ) زيادة: (ﷺ).
(٥٧) قاله البيضاويُّ في تفسيره: (٢٩٥/١).
(٥٨) أخرجه مسلمٌ، الجامع الصحيح، رقم: (٢٩٩٦) ٢٢٩٤/٤ ك الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرِّقة.
(٥٩) في (ظ): (إلى قوله).
(٦٠) قال البيضاويُّ (التفسير: ٢٩٥/١): (أنَّه كالتمثيل لما ذكرنا، فإنَّ المراد بالنور الجوهر المضيء، والنار كذلك غير أن ضوءها مكدَّر مغمور بالدخان محذور عنه بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة والإحراق، فإذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور، ومتى نكصت عادت الحالة الأولى جذعة، ولا تزال تتزايد حتى ينطفيء نورها ويبقى الدخان الصرف، وهذا أشبه بالصواب وأوفق للجمع بين النصوص، والعلم عند الله سبحانه وتعالى).
(٦١) في (م): (الأحاديث).

(٦٢) في (م): (الأحاديث).
(٦٣) في (ظ): (أيضًا).
(٦٤) في (م): (فإنَّه).
(٦٥) في (م): (منها).
(٦٦) كلمة: (الأرض) مكررة في (م).
(٦٧) ما بين [ ] ليس في (أ).
(٦٨) في (م): (واقتضاء).
(٦٩) قال البيضاويُّ (التفسير: ١/٣٠٢-٣٠٣): (﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط الأول، وما مزيدة أكدت به إن، ولذلك حسن تأكيد الفعل بالنون، وإن لم يكن فيه معنى الطلب، والمعنى: إن يأتينَّكم منِّي هدى بإنزال أو إرسال فمن تبعه منكم نجا وفاز، وإنّما جيء بحرف الشك وإتيان الهدى كائن لا محالة؛ لأنَّه محتمل في نفسه غير واجب عقلاً، وكرر لفظ الهدى ولم يضمر ؛ لأنَّه أراد بالثاني أعم من الأول، وهو ما أتى به الرسل، واقتضاه العقل: أي فمن تبع ما أتاه مراعيًا فيه ما يشهد به العقل؛ فلا خوف عليهم فضلاً عن أن يحل بهم مكروه، ولا هم يفوت عنهم محبوبٌ؛ فيحزنوا عليه، فالخوف على المتوقع والحزن على الواقع، نفى عنهم العقاب وأثبت لهم الثواب على آكد وجه وأبلغه).
(٧٠) في (أ): (مذهبًا).
(٧١) في تفسير البيضاويِّ: (النفسين).
(٧٢) في (م) بياض.
(٧٣) في (م): (للكل).
(٧٤) قال البيضاويُّ (التفسير: ١/٣١٩): (﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا﴾ أي ما فيه من الحساب والعذاب ﴿لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾ لا تقضي عنها شيئًا من الحقوق أو شيئًا من الجزاء، فيكون نصبه على المصدر، وقرىء: ﴿لاَّ تُجْزِيء﴾ من أجزأ عنه: إذا أغنى، وعلى هذا تعين أن يكون مصدرًا، وإيراده مُنكَّرًا مع تنكير النفسين= للتعميم والإقناط الكلي).
(٧٥) قوله: (بهذه الآية) ليس في (م).
(٧٦) قال البيضاويُّ (التفسير: ٢/٣٣-٣٤): (﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ﴾ أجيرها بحفظك، ﴿وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ المطرود، وأصل الرجم: الرمي بالحجارة، وعن النبيِّ ﷺ: «ما من مولود يولد إلاّ والشيطان يمسه حين يولد، فيستهل من مَسِّه، إلاَّ مريم وابنها»، ومعناه: إنَّ الشيطان يطمع في إغواء كلِّ مولود يتأثر منه، إلاَّ مريم وابنها، فإنَّ الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة).
(٧٧) في (م) زيادة: (في ذلك).
(٧٨) في (م): (على).
(٧٩) في (م): (منهج).
(٨٠) هو أبو حيَّان محمَّد بن يوسف بن علي الغرناطي النحويّ، أكثر من مناقشة الزمخشريّ في تفسيره البحر المحيط، ت: ٧٤٥هـ. انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون (٢/٤٠٥).
(٨١) ما بين [ ] من (ظ).

(٨٢) في (م): (يُمكَّن).

(٨٣) في (م): (جاز).

(٨٤) في (ح): (وأنَّه).

(٨٥) في (ح): (الخير).

(٨٦) هو أحمد بن محمد بن المنير الاسكندريّ المالكي، صاحب كتاب الانتصاف من الكشاف، ت: ٦٨٣هـ. انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون (٤٠٤/٢).

(٨٧) في (فلا نبطله) فقط.

(٨٨) هو سعد الدين مسعود التفتازاني، لخصَّ حاشية الطيبِي مع زيادة تعقيدٍ في العبارة ولم يتمها، ت: ٧٩٢هـ. انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون: (٤٠٥/٢).

(٨٩) في (أ): (فإنَّه).

(٩٠) في (م) بياض.

(٩١) في (م): (عصمها).

(٩٢) في (م): (استثنائهما).

(٩٣) قال البيضاويُّ (التفسير: ٧٢/٢): (﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ حق تقواه، وما يجب منها، وهو استفراغ الوسع في القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم، كقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾).

(٩٤) في (م): (قال) فقط.

(٩٥) في (م): (أن).

(٩٦) في (م): (عولاً)

(٩٧) قال البيضاويُّ (التفسير: ١٠٩/٢): (﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾ وما صحَّ لنبيٍّ أن يخون في الغنائم، فإنَّ النبوة تنافي الخيانة. يقال: غلَّ شيئًا من المغنم يغل غلولاً، وأغل إغلالا: إذا أخذه في خفية. والمراد منه: إمَّا براءة الرسول ﷺ عمّا اتُّهم به، إذ روي أنَّ قطيفة حمراء فُقِدت يوم بدرٍ، فقال بعض المنافقين: لعلَّ رسول الله ﷺ أخذها. أو ظَنَّ به الرماة يوم أحد حين تركوا المركز للغنيمة، وقالوا: نخشى أن يقول رسول الله ﷺ: من أخذ شيئًا فهو له، ولا يقسم الغنائم. وإمَّا المبالغة في النهيِّ للرسول ﷺ على ما روي أنَّه بعث طلائع فغنم رسول الله ﷺ فقسم على من معه، ولم يقسم للطلائع فنزلت، فيكون تسمية حرمان بعض المستحقين غلولاً تغليظًا، ومبالغة ثانيًا).

(٩٨) في (م): (لعاذل).

(٩٩) قوله: (ومزجه باللطف) في (م) بياض.

(١٠٠) في (م): (ناده).

(١٠١) في (م): (ينكر).

(١٠٢) في (أ،م): (وبهذا).

(١٠٣) في (م): (يُحسِّن).

(١٠٤) في (م): (باللفظ).

(١٠٥) قوله: (هنا) ليس في (م).

(١٠٦) في (م): (عولاً).
(١٠٧) في (م): (ممًا).
(١٠٨) في (ظ) زيادة: (عنه).
(١٠٩) قال البيضاويُّ (التفسير: ١١٨/٢-١١٩): (﴿يُرِيدُ اللّهُ أَلاَّ يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الآخِرَةِ ﴾ نصيبًا من الثواب في الآخرة، وهو يدل على تمادي طغيانِهم وموتِهم على الكفر، وفي ذكر الإرادة إشعارٌ بأنَّ كفرهم بلغ الغاية؛ حتَّى أراد أرحم الراحمين أن لا يكون لهم حظٌّ من رحمته).
(١١٠) قوله: (الله) ليس في (م).
(١١١) في (أ): (حرمانه).
(١١٢) في (م): (صادق).
(١١٣) في (م): (عادتِهم).
(١١٤) قوله: (إليه) ليس في (م).
(١١٥) قال البيضاويُّ (التفسير: ١٧١/٢): (﴿أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ ﴾ مفعول له، والمعنى: أحل لكم ما وراء ذلكم إرادة أن تبتغوا النساء بأموالكم بالصرف في مهورهنَ أو أثمانِهنَ في حال كونكم محصنين غير مسافحين).
(١١٦) في (م): (دهس).
(١١٧) في (م): (دهسًا).
(١١٨) في (م): (إرادة الحلال).
(١١٩) قوله: (هذا) ليس في (م).
(١٢٠) في (م): (شرطين).
(١٢١) في (م): (لا).
(١٢٢) قوله: (الزوج) في (م) بياض.
(١٢٣) ما بين [ ] من (م).
(١٢٤) قال البيضاويُّ (التفسير: ١٢/٣): (﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا﴾ ليظهر لهما، واللام للعاقبة، أو للغرض على أنَّه أراد أيضًا بوسوسته أن يسوأهما بانكشاف عورتيهما، ولذلك عبَّر عنهما بالسوأة، وفيه دليل على أنَّ كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع. ﴿ مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا﴾ ما غطي عنهما من عوراتِهما).
(١٢٥) قوله: (فيه) ليس في (م).
(١٢٦) قوله: (إن) ليس في (م).
(١٢٧) في (م): (يحسن).
(١٢٨) في (م): (وهذي).
(١٢٩) في (أ): (خطابه).
(١٣٠) قوله: (لهم) ليس في (م).

(١٣١) قال البيضاويُّ (التفسير: ١٤٨/٣): (﴿عَفَا اللّهُ عَنكَ﴾ كناية عن خطئه في الإذن، فإنَّ العفو من روادفه، ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ بيان لما كني عنه بالعفو، ومعاتبة عليه، والمعنى: لأيِّ شيءٍ أذنت لهم في القعود حين استأذنوك، واعتلوا بأكاذيب، وهلاَّ توقفت؛ ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ في الاعتذار، ﴿وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ فيه).

(١٣٢) في (م): (ابن المنير).

(١٣٣) في (م): (بأدب).

(١٣٤) في (م): (القديم).

(١٣٥) في (م): (إشعارٌ).

(١٣٦) قوله: (وتوقيره) ليس في (م).

(١٣٧) في (م): (السخاويندي).

(١٣٨) في (أ): (ولو قدِّر تصدير)، وهو ساقط من (م).

(١٣٩) في (م): (وصوله).

(١٤٠) أخرجه الطبرانِي، المعجم الكبير (٢٤٩/١١)، وقال الهيثمي (مجمع الزوائد ٤٠/٧): (راوه الطبرانِي، وفيه إبراهيم بن يزيد القرشي المكي، وهو متروك).

(١٤١) في (م): (الرتبة).

(١٤٢) في (م): (يكون).

(١٤٣) في (م): (فالأفضل).

(١٤٤) في (ظم): (الطاهر).

(١٤٥) في (م): (قول).

(١٤٦) في (أ): (في).

(١٤٧) في (م): (من أفتا).

(١٤٨) قال البيضاويُّ (التفسير: ١٨٣/٣): (﴿إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ من أفناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم. قيل: كانوا يقولون: العجب أنَّ الله تعالى لم يجد رسولاً يرسله إلى النَّاس إلاَّ يتيم أبي طالب، وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الأمور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحي والنبوة، هذا وأنَّه ﷺ لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه إلاَّ في المال، وخفة الحال أعون شيءٍ في هذا الباب، ولذلك كان اكثر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبله كذلك).

(١٤٩) قوله: (في أفناء) ليس في (م).

(١٥٠) ما بين [ ] من (م).

(١٥١) في (م): (هذي).

(١٥٢) في (م): (الزمخشريُّ).

(١٥٣) في (م): (أن يُحمِّل لفظ القرآنِ معنًى).

(١٥٤) في (م) زيادة: (له).

(١٥٥) في (م): (وجوه).

(١٥٦) في (م): (وزيادة).

(١٥٧) قاله البيضاويُّ في تفسيره: (١٩٤/٤).

(١٥٨) في (أ): (عن).

(١٥٩) في (م): (زيادة).

(١٦٠) في (م): (جاء).

(١٦١) في (م): (جوابه).

(١٦٢) في (م): (تخوَّنوا).

(١٦٣) في (أ): (فناسب).

(١٦٤) في (ظ): (فحسبهمو).

(١٦٥) في (ظ): (وقد نظم).

(١٦٦) في (م): (وتخوَّنوا).

(١٦٧) في (م): (ويح).

(١٦٨) في (م): (المهلكة).

(١٦٩) في (م) بدل: (الجابردي): (الباري وهو سلميّ).

والجابرديّ، هو فخر الدين أحمد بن حسن الجاربردي، وضع حاشية على تفسير الكشاف، ت: ٧٤٦هـ. انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون (٤٠٥/٢).

(١٧٠) قال البيضاويُّ (التفسير: ٨/٤-٩): (﴿فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ سترًا ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ قيل: قعدت في مشرفة للاغتسال من الحيض متحجبة بشيء يسترها، وكانت تتحول من المسجد إلى بيت خالتها إذا حاضت، وتعود إليه إذا طهرت، فبينما هي في مغتسلها أتاها جبريل عليه السلام متمثلاً بصورة شابٍ أمردٍ سويٍّ الخلق؛ لتستأنس بكلامه، ولعله لتهييج شهوتُها به، فتنحدر نطفتها إلى رحمها).

(١٧١) في (م): (ثمرها) دون: (هذا).

(١٧٢) في (ظ): (علوم الفلسفة).

(١٧٣) وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ (المومنين: ٥١).

(١٧٤) قاله البيضاويُّ في تفسيره: (١٥٨/٤).

(١٧٥) في قول المصنِّف: (بل الخطاب أزلاً على تقدير وجود المخاطبين) نفحة أشعريَّة، فمذهب أهل السنّة أنَّ صفة الكلام لله تعالى قديمة النوع، حادثة الآحاد، اتِّصف به أزلاً، ويتكلم إذا شاء، متى شاء بحرف وصوت.

قال شيخ الإسلام (الفتاوى: ٣٠٤/١٢): (واستفاضت الآثار عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة السنة؛ أنَّه سبحانه ينادي بصوت، نادى به موسى، وينادي عباده يوم القيامة بصوت، ويتكلك بالوحي بصوت، ولم ينقل عن أحد من السلف أنَّه قال: إنَّ الله يتكلم بلا صوت ولا حرف، ولا أنَّه أنكر أن يتكلم الله بحرف وصوت).

(١٧٦) في تفسيير البيضاويِّ: (التمكين).

(١٧٧) قال البيضاويُّ (التفسير: ٢٩٧/٥): (﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ : أي وما تصنعون غير مؤمنين به، كقولك: ما لك قائمًا، ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ﴾ حال من ضمير تؤمنون، والمعنى: أيُّ عذر لكم في ترك

الإيمان والرسول يدعوكم إليه بالحجج والآيات، ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُم﴾ :أي وقد أخذ الله ميثاقكم بالإيمان قبل ذلك بنصب الأدلة، والتمكين من النظر).

(١٧٨) في (أ): (يحتمل).

(١٧٩) في (م): (الدين).

(١٨٠) في (م): (وردَّه).

(١٨١) قال البيضاويُّ (التفسير: ٣٥٤/٥): (﴿وَاللهُ غَفُورٌ﴾ لك هذه الزلة، فإنَّه لا يجوز تحريم ما أحله الله ﴿رَّحِيمٌ﴾ رحمك حيث لم يؤاخذك به).

(١٨٢) في (م): (عنها).

(١٨٣) ما بين [ ] من (م).

(١٨٤) في (م): (أطلق).

(١٨٥) في (م): (ما حلَّ).

(١٨٦) في (أ) زيادة: (وحاشا الله) لم أر لها مناسبة، فلم أثبتها، والله أعلم.

(١٨٧) في (م): (إلى رسول الله ﷺ فهذه جرأة عليه ﷺ).

(١٨٨) قال البيضاويُّ (التفسير:): (سمي به النبي ﷺ تَهجينًا لما كان عليه، فإنَّه كان نائمًا أو مرتعدًا ممَّا دهشه من بدء الوحي متزملاً في قطيفة).

(١٨٩) في (ظ): (بأحمد).

(١٩٠) قال البيضاويُّ (التفسير: ٤١٥/٥): (﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وما جعلنا عددهم إلاَّ العدد الذي اقتضى فتنتهم، وهو التسعة عشر، فعبَّر بالأثر عن المؤثر تنبيهًا على أنَّه لا ينفك منه، وافتتانُهم به استقلالهم واستهزاؤهم به، واستبعادهم أن يتولى هذه العدد القليل تعذيب أكثر الثقلين).

(١٩١) في (م): (الزمخشريَّ).

(١٩٢) في (م): (وقد قال).

(١٩٣) قال البيضاويُّ (التفسير: ٤٥١/٥): (وذكر الأعمى للإشعار بعذره في الإقدام على قطع كلام رسول الله ﷺ بالقوم، والدلالة على أنّه أحق بالرأفة والرفق، أو لزيادة الإنكار كأنّه قال: تولى لكونه أعمى).

(١٩٤) قاله البيضاويُّ في تفسيره: (٤٥٤/٥).

(١٩٥) في (أ) زيادة قبل سورة الكافرين: (سورة التكويرقوله: (واستدل بذلك على فضل جبريل). قال شيخنا – رحمه الله تعالى –: يشير إلى كلام الزمخشريِّ، وقد قال صاحب الانتصاف: ما يرضى له جبريل هذا التفسير المقتضي لتنقيص البشير النذير)، وأرى أنَّ الزيادة غير صحيحة؛ لأنَّ البيضاويَّ هنا لم يتبع هذا القول بل ردَّه، فقال بعد حكايته (التفسير: ٤٥٨/٥): (وهو ضعيفٌ).

(١٩٦) قوله: (يومئذٍ) ليس في (م)، وهو في تفسير البيضاويِّ: (حينئذٍ).

(١٩٧) قوله: (عزَّ وجلَّ) ليس في (م).

(١٩٨) قاله البيضاويُّ في تفسيره: (٥٣٩/٥).

(١٩٩) في (م): (هذي).

(٢٠٠) في (م): (الحُليمي)، وهوخطأ.

والحلبي، هو: الشهاب أحمد بن يوسف الحلبي المشهور بالسمين، أكثر من مناقشة الزمخشريّ في كتابه الدر المصون. انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون (٤٠٥/٢)

(٢٠١) في (أ،ح) زيادة: (بغار حراء)، وليست في (ظ) ولا في الدرّ المصون.

(٢٠٢) في (م) زيادة: (كان يصوم).

(٢٠٣) في (م): (التأليف).

(٢٠٤) انظر تفسير البيضاويِّ (٢٨٣/٣).

(٢٠٥) في (ظ،م): (ابن ماشطة فرعون)، والمثبت هو الموافق لما في تفسير ابن جرير (١٩٣/١٢).

(٢٠٦) في (م): (وشهادة).

(٢٠٧) في (م) زيادة: (أمّه).

(٢٠٨) قوله: (الراكب) ليس في (م).

(٢٠٩) أخرج البخاري (٣٤٣٦)، ومسلم (٢٥٥٠)، وقد اختصره المصنِّف.

(٢١٠) قوله: (قلت) ليس في (م).

(٢١١) في (ظ): (ابن مسعود).

(٢١٢) في (م): (طريق).

(٢١٣) قوله: (وقال: صحيح) ليس في (م).

(٢١٤) قوله: (أصحاب) ليس في (م).

(٢١٥) قوله: (في المهد) ليس في (م)، وفيه: (قبل أن يبلغوا).

(٢١٦) قوله: (فقلت) ليس في (م).

(٢١٧) في (ظ): (لذي).

(٢١٨) في (ظ): (الهادي المبارك).

(٢١٩) في (م): (تم كتاب الإتحاف بحمد الله ومنِّه، وحسن توفيقه، وكان ذلك بقلم الفقير إلى ربِّه عبد الله بن عليٍّ عمودي فتحَ اللهُ عليه، آمين).

المراجع :

- البخاري، محمد بن إسماعيل.
صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه. الطبعة الأولى. تحقيق: محبّ الدين الخطيب. القاهرة: المكتبة السلفية، ١٤٠٠هـ.
- بركلمان، كارل.
تاريخ الأدب العربي. الطبعة [بدون]. تعريب: د. عبد الحليم النجار. مصر: دار المعارف.
- البيضاوي، عبد الله بن عمر.
تفسير البيضاوي = أنوار التنْزيل وأسرار التأويل. الطبعة [بدون]. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- الدمشقي، إسماعيل بن عمر ابن كثير.
تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم. الطبعة الأولى. تحقيق: سامي بن محمد السلامة. الرياض: دار طيبة، ١٤١٨هـ.
- الزرعي، محمد بن عبد الله ابن قيم الجوزية.
زاد المعاد من هدي خير العباد. الطبعة الثالثة عشرة. تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٩م.
- السري، أبو السري هناد.
الزهد. الطبعة [بدون].
- الطبرانِي، سليمان بن أحمد.

المعجم الكبير. الطبعة [بدون]. تحقيق: حمدي السلفي. بغداد: مطبعة الأمة،١٤٠٥هـ.

- الطبري، محمد بن جرير.
تفسير الطبري = الجامع البيان في تأويل آي القرآن. الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- العكري، بعد الحي بن أحمد ابن العماد الحنبلي.
شذارت الذهب في أخبار من ذهب. الطبعة [بدون]. تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، ومحمود الأرناؤوط. دمشق: دار ابن كثير، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- القسطنيطيني الحنفي، مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة.
كشف الظنون من أسامي الكتب والفنون. الطبعة [بدون]. بيروت: دار الكتب الفكر، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- القشيري، مسلم بن الحجاج بن مسلم.
صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. الطبعة [بدون]. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. القاهرة: تصوير دار الحديث، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- المعلمي، عبد الله بن عبد الرحمن.
معجم مؤلفي مخطوطات مكتبة الحرم المكي الشريف. الطبعة [بدون]. الرياض: مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

- النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف.

التبيان في آداب حملة القرآن. الطبعة الثانية. تحقيق: عبد العزيز السيروان. عمّان: دار النفائس، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

- النيسابوري، محمد بن عبد الله الحاكم.

المستدرك على الصحيحين. الطبعة الأولى. تحقيق: مصطفى عبد القارد عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

- الهيثمي، علي بن أبي بكر.

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. الطبعة [بدون]. بيروت: تصوير دار الكتاب العربي.